على بعض الملامح البطولية التي يكتسبها من خلال صراعه مع المجتمع الفاسد، وثورته على أوضاعه القائمة، أما البطل في الواقعية الاشتراكية فإنه يظل بطلاً أكثر من كونه نموذجاً، و «إيجابيته ليست إيجابية الثورة على الأوضاع القائمة، وإنكارها، أو على الأكثر محاولة تغييرها، بل إيجابية البناء لمجتمع جديد»(٨٣). ولا نريد أن نوازن بين البطل في الواقعية الاشتراكية والبطل في الواقعية الطبيعية، لسبب بدهي، وهو أن هذه الأخيرة لم تعطنا نماذج كما أنها لم تعطنا أبطالاً على الإطلاق. وكيف نطمع في ذلك ما دام الأشخاص في الواقعية ا لطبيعية يرزحون تحت نير الغرائز البيولوجية الحتمية التي لا تترك لهم أي بصيص من الحرية في التصرف؟!.

وبعد، فإن المتأمل في رواية «الأم» يلاحظ النزعة البطولية التي تتمتع بها جل شخصيات رواية «الأم» بدءاً من «بيلاجيا» و «بافل» حتى «صوفيا» وصبي ا لمدرسة الذي جرح في جبهته أثناء إحدى المظاهرات. فكل «الرفاق» يبدون أبطالاً في هذه الرواية، يضحون بكل شيء من أجل القضية(٨٤)، ولا يتورعون عن شتم رجال القضاء، والقسم لهم بشرفهم بأنهم سوف يتابعون عملهم بالرغم من كل شيء: «أنا أقسم لكم بشرفي.. أينما أرسلتم بي، فلسوف أتدبر أمر هربي بطريقة ما، وأتابع العمل والنشاط دائماً ـ طوال حياتي.. إني أقسم على ذلك!»(٨٥)، هكذا يصرخ «فيودور مازين» في وجه قضاته. و «بيلاجيا» العجوز في نهاية الرواية لا يبدو عليها أي خوف أو خور، لقد استطاعت السلطات أن تمسك بها وهي تحمل حقيبة مملوءة بالمناشير فأخذوا يعذبونها بشدة ويدقون ظهرها، ويلطمونها على كتفها ورأسها، بينما هي لا تبالي بكل ما يفعلونه بها قائلة لهك: «إنكم لا تثيرون إلا أسعار نيران حقدنا عليكم، يا أيها المجانين، وذلك سوف يسقط على رؤوسكم يوماً ما»(٨٦). ونهاية رواية «الأم» تؤكد لنا النزعة التفاؤلية المسرفة لدى الواقعيين الاشتراكيين.

ومهما يكن من أمر، فإننا نريد أن نخلص إلى أن النزعة التفاؤلية كان لها